

## خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/٩/٥

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

\*\*\*\*\*

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ \* مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ \* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ \* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

في سياق بيان تفاصيل الفوضى التي حصلت في جيش المسلمين بسبب مطر سهام العدو يوم حنين، فقد بين حضرة المصلح الموعود عليه السلام هذه الواقعة، موضحا كيف يجب طاعة النبي، وذلك في تفسير قول الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة النور الآية رقم ٦٤)، وترجمة هذه الآية: أيها المؤمنون لا تعدوا نداء الرسول لكم مثل نداء بعضكم بعضا. إن الله يعلم الذين يتسللون هربا من مجلس المشورة، فعلى الذين يخالفون حكم هذا الرسول أن يخافوا أن تصيبهم من الله آفة أو عذاب مؤلم.

ويقول حضرة المصلح الموعود عليه السلام في تفسيرها: "لا قيمة لنداء الأفراد إزاء نداء الإمام، فمن واجبكم أنه كلما وصل إلى أسماعكم صوت رسول الله أن تلبوه فورا وأن تسارعوا للعمل به، ففي هذا يكمن نجاحكم، بل الحق أن المرء إذا كان في الصلاة أيضا فمن واجبه أن يترك الصلاة ويلبي نداء رسول الله. إن تلبية نداء النبي أمر غاية في الأهمية على كل حال، بل هو من أكبر علامات إيمان المرء.

وقد أوصى الله المؤمنين وقال أيها المؤمنون لا تظنوا نداء الرسول إذا دعاكم كنداء الآخرين، بل عليكم بتلبية نداءه على الفور. وكأن الله تعالى قد بين هنا أن محمدا رسول الله عليه السلام يتبوأ منصبين: رئيس دنيوي، ونبي الله. ولا غبار على ضرورة طاعة أوامره كرئيس دنيوي، ولكن طاعة أوامره وتلبية نداءه تصبح ضرورية جدا بصفته نبي الله تعالى".

لقد ذكر حضرته واقعة غزوة حنين في تفسير هذه الآية وقال: "يتضح من التاريخ أن جماعة من كفار مكة انضموا إلى جيش المسلمين في غزوة حنين بدافع التباهي بشجاعتهم، ولكنهم لم يثبتوا أمام هجوم بني ثقيف وفروا مدبرين من ساحة القتال، حتى لم يبق حول النبي عليه السلام إلا اثنا عشر صحابيا، وحصلت الفوضى

في الجيش المسلم المكون من عشرة آلاف مقاتل، في حين أن جيش الكفار المكون من ثلاثة آلاف رامٍ والصاعد على الجبال كان يرشق النبي ﷺ عن يمينه وشماله بالنبال من على الجبال، ولكنه ﷺ رفض أن يتقهقر، بل أراد أن يمضي قدمًا نحو الكافرين. فخاف أبو بكر ﷺ على النبي ﷺ، فأخذ بلجام راحلته وقال يا رسول الله، فذاك نفسي، هذا ليس أوان المضي قدمًا، سوف يجتمع المسلمون عن قريب ثانية، وعندها تتقدم. ولكن النبي ﷺ قال في حماس شديد: اترك لجام بغلتي. ثم تقدم ﷺ راکضًا بغلته وهو يرتجز: أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

أي أنا ذلك النبي الموعود الذي وُعد بعصمته الدائمة، ولستُ بكذاب، فلا أبالي بؤماتكم سواء أكانوا ثلاثة آلاف أو ثلاثين ألفًا، ويا أيها المشركون، لا تغتروا برؤية شجاعتي ولا تؤهوني، إنما أنا بشرٌ وابنُ رئيسكم عبدِ المطلب، أي حفيده. وكان عمُّ النبي ﷺ العباسُ ﷺ جهرَ الصوت، فنظر إليه النبي ﷺ وقال له تعال يا عباس وناذ بأعلى صوتك: يا أصحاب سورة البقرة، أي الذين قد حفظوا سورة البقرة عن ظهر قلب، ويا أصحاب الشجرة، أي الذين بايعوا تحت الشجرة يوم الحديبية، إن رسول الله يدعوكم.

يقول أحد الصحابة: لما فرّت مقدمة جيش المسلمين مدبرة بسبب جُبن مسلمي مكة حديثي العهد بالإسلام نفرّت رواحلنا، وكلّما حاولنا إيقافها اشتدت عدوًا إلى الراء. وبيننا نحن في ذلك إذ سمعنا صوت العباس يدوي في ساحة القتال وهو يقول: يا أصحاب سورة البقرة (لقد ناداهم بذكر سورة البقرة خاصة لأنها أول سورة نزلت بالمدينة، ولأن الله تعالى قد ذكر فيها كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، ولأن الله قد أوصى فيها بإيفاء العهد أيضا)، ويا من بايعوا تحت الشجرة يوم الحديبية، إن رسول الله يدعوكم. ولما وقع هذا الصوت في أذني خيّل لي أنني لستُ حيًّا، بل أنا ميت، وأن صور إسرافيل يدوي في الجوّ. فجذبت خطام بعيري بشدة لإيقافها، فالتصق رأسه بظهره، ولكنه كان مدعورًا جدًّا، وبمجرد أن أرخيت له الخطام استأنف العدو إلى الراء بشدة. فأخرجتُ أنا وكثير من أصحابي سيوفنا، فقذف بعضنا من رواحلهم، وقطع بعضنا أعناقها، وأخذوا يعدون إلى رسول الله ﷺ. وفي الحِيظَاتِ عاد هذا الجيشُ المكون من سبعة آلاف صحابي، والذي كان من قبل يجري إلى مكة مدبرا بشدة، واجتمع الصحابة حول النبي ﷺ، ثم صعدوا بسرعة على الجبال وقتلوا الأعداء بلا هوادة، فانقلبت هذه الهزيمة الخطيرة فتحًا عظيمًا.

ويقول حضرة المصلح الموعود ﷺ في خطابه بعنوان "الأسوة الحسنة" وهو يتحدث عن هذه الواقعة:

بعد فتح مكة، عندما سار رسول الله ﷺ إلى غزوة حنين لمواجهة بعض القبائل العربية، انضم إليه كثيرون من أهل مكة الذين أسلموا حديثًا، كما انضم إلى الجيش المسلم وبدافع التفاخر والحمية القبلية قوم لم يسلموا بعدُ وبدؤوا يتباهون بكثرة عددهم وقوتهم ويقولون إننا اليوم كثيرون جدا ولن يقدر أحد على إلحاق الهزيمة بنا. فهياً الله لعقابهم على كبريائهم أسبابا وهي أن العدو كمن في ممر ضيق واختبأ الآلاف من رماثهم عن يمين الممر وشماله، وعندما مر الجيش الإسلامي، أمطروهم بوابل من السهام بغتة. وعندما رأى حديثو العهد بالإسلام -

الذين كانوا لا يزالون ضعاف الإيمان، وأيضاً كفارُ مكة الذين انضموا إلى المسلمين بدافع الحمية القبلية - ذلك فروا من ساحة المعركة مدبرين. وعندما تفرّ مقدمة الجيش فلا بد أن تنفر الخيول في مؤخرة الجيش فتجري حيثما تشاء. وهكذا حدث في هذه المعركة، فعندما فرّ حديثو العهد من المسلمين والكفارُ من مكة من أمام مطر سهام العدو، بدأت خيول وإبل الصحابة بالفرار أيضاً، وتشتت الجيش الإسلامي بالكامل، واشتدت هذه المصيبة بحيث لم يبق حول رسول الله ﷺ إلا اثني عشر رجلاً، بينما فرّ الباقيون من الميدان. عندها أمسك سيدنا العباس ﷺ بلجام فرس الرسول ﷺ وقال: "ليس وقت البقاء الآن، ارجع لنجمع الجيش الإسلامي ونهاجم مرة أخرى". لكن رسول الله ﷺ قال: "إن أنبياء الله لا يولون الأدبار في المعركة". ثم أمسك بلجام الفرس، وركض به وبذلك تقدم إلى الأمام أكثر قائلاً:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ      أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ

أي: أنا نبي الله ولست بكاذب. لكنكم حين ترونني لا أخاف هؤلاء الرماة بل أتقدم رغم كوني محفوفاً بأربعة آلاف رامٍ حذار أن يخطر ببالكم إثر مشاهدة هذا الوضع أنني إله أو أتمتع بصفات الألوهية، كلا! فلست إلهاً، وإنما أنا ابن عبد المطلب.

لكن الأنبياء والرسل وأولياء الله هم مظاهر الله أي يُرى بهم وجهُ الله.

عندما حدث هذا وفرح العدو ظناً منه بأنه هزم المسلمين، قال رسول الله ﷺ لسيدنا العباس ﷺ: يا عباس أعلن: يا معشر الأنصار! إن رسول الله يدعوكم. فكرر سيدنا العباس قول النبي ﷺ بصوت عالٍ يا معشر الأنصار! إن رسول الله يدعوكم.

يقول أحد الأنصار وصفاً لذلك المشهد: "كانت خيولنا وإبلنا تفر بنا وقد فقدنا السيطرة عليها، وكنا نظن أنها لن تتوقف قبل مكة والمدينة. إذ كانت قد فرغت من فرار الآلاف من أهل مكة حتى باتت تأبى العودة بأي شكل كان، وكنا نشد الأجمعة بقوة حتى تلامس رؤوسها أذيالها، لكنها كانت تتقهقر بدلا من العودة إلى الميدان. وفي هذه الحالة سمعنا فجأة صوت العباس ﷺ المدوي: يا معشر الأنصار! إن رسول الله يدعوكم. فأصبحنا فور سماع هذا الصوت كأننا لا نسمع نداء إنسان بل كان يبدو لنا أننا في يوم الحشر، وأن إسرائيل ينفخ في الصور لإحياء الأرواح الميتة، ولم نكن نشعر بالدنيا وما فيها، وإنما كان صوت واحد يدوي في آذاننا، وكان صوت العباس، فزال عنا الضعف كله. قبل قليل كنا نظن أننا لا نستطيع إيقاف خيولنا وجمالنا، والآن استترفتنا الجهود من جديد لإيقافها فمن وقفت وقفت ومن لم تقف قطعنا رقابها بالسيوف وبدأنا نمشي ونعدو إلى النبي ﷺ فوصلنا إليه. هؤلاء هم الذين استفادوا من إيمان محمد رسول الله ﷺ هذا. فكما كان من شأن النبي ﷺ أن الله ﷻ لم يكن يغيب عن أنظاره مهما طرأ عليه الخطر، قد نشأت الحالة نفسها في الصحابة أيضاً بحسب مراتبهم نتيجة تربيته ﷺ لهم.

من هم الذين ثبتوا مع النبي ﷺ؟ عن ذلك قال عبد الله بن مسعود ﷺ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ

حُنَيْنٍ، فَوَلَّى عَنْهُ الْمُسْلِمُونَ وَثَبَّتْ مَعَهُ ثَمَانُونَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ - فَثَبَّتْنَا عَلَى أَقْدَامِنَا وَمَنْ نُؤَلِّمُهُمُ الدُّبَيْرَ - وَهُمْ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَعْغَتِهِ لَمْ يَتَأَخَّرْ خُطْوَةً وَاحِدَةً، فَحَادَتْ بِهِ بَعْغَتُهُ فَمَالَ عَنِ السَّرْحِ فَقُلْتُ لَهُ ﷺ: ارْتَفِعْ رَفْعَكَ اللَّهُ فَقَالَ نَاوِلْنِي كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَنَاوَلْتُهُ كَفًّا مِنَ التُّرَابِ، فَنَاوَلَهُ مَنِي فَضَرَبَ بِهِ وُجُوهُهُمْ، فَاَمْتَلَأَتْ أَعْيُنُهُمْ تُرَابًا ثُمَّ قَالَ أَيْنَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ؟ قُلْتُ هُمْ هُنَا، قَالَ اهْتَفِ بِهُمْ فَهَتَفْتُ بِهِمْ فَجَاءُوا وَسُيُوفُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ وَوَلَّى الْمُشْرِكُونَ أَذْبَارَهُمْ.

وفي رواية أن الناس حين فروا أي حين تشتت جيش المسلمين بقي مع النبي ﷺ مئة شخص فقط، عندها دعا الله قائلا: اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان. فقال له ﷺ جبريل: قد ألقى عليك كلمات علمها موسى ﷺ يوم انفلق البحر. وعن حارثة بن النعمان قال لما نكت الناس على أعقابهم قدرت أنه لم يبق مع النبي ﷺ سوى ١٠٠ نفر.

وعن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضوان الله عليهم أجمعين ثبتوا مع النبي ﷺ يوم حنين، كلهم ضربوا أكثر من عشر ضربات، وكان سيدنا ابن مسعود أيضاً معهم، وثبت من الأنصار أبو ذر وأبو دُجَانة وحارثة بن النعمان وسعد بن عباد وأبو بشير وأسيد بن حُضير ومن أهل مكة شيبه بن عثمان. ومن النساء: أم سليم بنت ملحان، وأم عمارة نسيبة بنت كعب، وأم حارث، وأم سُلَيْط بنت عُبيد.

وعن ثبات الصحابييات في المعركة ورد عن عبد الله أبي بكر أن رسول الله ﷺ رأى أم سليم ابنة ملحان مع زوجها أبي طلحة، وكانت حاملاً، وكانت تخاف أن يسقطها البعير، فأدخلت يدها من داخل الخطوم واللجام وجعلت رأس البعير قريباً منها. فقال النبي ﷺ: "أم سليم؟" فقالت: نعم يا رسول الله، فذاك أبي وأمي. وكان معها خنجر، فقال أبو طلحة: يا رسول الله، هذه أم سليم ومعها خنجر. فقال لها رسول الله ﷺ: لَمْ هَذَا الْخِنْجَرُ؟ قَالَتْ اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ. فكانت السيدة أم سليم التي ثبتت مع النبي ﷺ في تلك الساعة الحرجة حزينة ومغتاضة من الذين فروا وتركوا النبي ﷺ وحده حتى قالت وقد استولى عليها حبه ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْتُلْ مَنْ بَعَدَنَا مِنَ الطُّلُقَاءِ (أي سكان مكة الذين كان النبي ﷺ أحسن إليهم قائلاً لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا أنتم الطلقاء، وقد شارك منهم ألفاً شخص في حنين، ولم يثبتوا أمام سهام العدو، وتسببوا في تقهقر الصحابة القدامى أيضاً) اهْزَمُوا بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا أُمَّ سُلَيْمِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ". وهناك رواية لصحابية شجاعة أخرى اسمها السيدة أم عمارة رضي الله عنها قالت: لما كان يوم حنين والناس منهزمون في كل وجه، كنا أربع نسوة، وفي يدي سيف لي صارم، وأم سليم معها خنجر قد حزمته على وسطها، وإنها يومئذ حامل، وكانت أم سُلَيْط، وأم الحارث أيضاً موجودتان.

وفي رواية: جعلت أمّ عمارة تصيح بالأنصار أيّ عَادَةٍ هَذِهِ؟ مَا لَكُمْ وَلِالْفِرَارِ؟ قَالَتْ وَأَنْظُرِي إِلَى رَجُلٍ مِنْ هَوَازِنَ عَلَى جَمَلٍ أَوْرَقٍ<sup>١</sup> مَعَهُ لَوَاءٌ يُوضِعُ جَمَلَهُ فِي أَثَرِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَعْتَرَضُ لَهُ فَأَضْرِبُ عُرْقُوبَ الْجَمَلِ. فَوَقَعَ (الرجل) عَلَى عَجْزِهِ وَأَشَدَّ عَلَيْهِ. فَلَمْ أزلْ أَضْرِبُهُ حَتَّى أَتَيْتَهُ<sup>٢</sup>. وَأَخَذَتْ سَيْفًا لَهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ مُصَلِّتُ السَّيْفِ بِيَدِهِ. وَمَا وَصَلْتُ هُنَاكَ كَانَ ﷺ ينادي: يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ! قَالَ: وَكَّرَ الْمُسْلِمُونَ، فَكَرَّتِ الْأَنْصَارُ. وَوَقَفَتْ هَوَازِنُ حَلَبَ نَاقَةٍ ثُمَّ فَرَ الْعَدُوَّ مَهْزُومًا، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ هَزِيمَةً كَانَتْ مِثْلَهَا. ذَهَبُوا فِي كُلِّ وَجْهِ فَرَجَعَ ابْنَايَ إِلَيَّ - حَيْبُ وَعَبْدُ اللَّهِ - بِأَسَارَى.

وروى أبو بشير المازني قال: لما كان يوم حنين صلينا الصبح، ثم رجعنا على تعبئة من رسول الله ﷺ فما شعرنا، وقد كاد حاجب الشمس أن يطلع، فهوحننا فجأة وعادت إلينا مقدمتنا وقد انهزموا. فاختلطت صفوفنا، وانهزمنا مع المقدمة، وأكر، وأنا يومئذ غلام شاب، وقد علمتُ أن رسول الله ﷺ متقدم في الجيش فجعلتُ أقول: يا للأنصار! بأبي وأمي عن رسول الله ﷺ تولون؟ وأكر في وجوه المنهزمين، ليس لي همة إلا النظر إلى سلامة رسول الله ﷺ حتى صرْتُ إلى رسول الله ﷺ وهو يصيح: "يا للأنصار" فدنوت من دابته، والتفتُ من ورائها، وإذا الأنصار قد كروا كرة رجل واحد ورسول الله ﷺ واقف على دابته في وجوه العدو. ومضت الأنصار أمام رسول الله ﷺ يقاتلون، ورسول الله ﷺ سائر معهم يفرجون العدو عنه، حتى طردناهم فرسخا، (قربة ثلاثة أميال) وتفرقوا في الشعاب، حتى فلوا من بين أيدينا. فرجع رسول الله ﷺ إلى منزله وقبته والأسرى مكثفون حوله. وإذا نفرٌ حول قبته، وفي قبته زوجاته أمّ سلمة وميمونة، حولها نفر الذين يجرسون رسول الله ﷺ وهم عباد بن بشر، وأبو نائلة، ومحمد بن مسلمة.

قال ابن عقبة: ومَرَّ رجل من قريش بصفوان بن أمية (كان مازال مشركا وجاء لمشاهدة وقائع الغزوة) فقال: أبشرُ بهزيمة محمد وأصحابه، (قال ذلك نظرا إلى هجوم سابق) ثم قال: فوالله لا يجبرونها أبدا. (أي لن يعودوا إلى سابق عهدهم أي لن ينالوا فتحا)

فقال صفوان: أتبشرنني بظهور الأعراب "فوالله لرب من قريش أحب إلى من رب من الأعراب". غضب صفوان لذلك، وبعث غلاما له (للاستطلاع) فقال: اسمع لمن الأشعار؟ (لأن صوت الهتافات كان مرتفعا حينذاك) فجاءه فقال: سمعتهم يقولون: يا بني عبد الرحمن يا بني عبيد الله، يا بني عبد الله، فقال: ظهر محمدٌ وكان ذلك شعارهم في الحرب. فاطمأن صفوان بذلك وقال: انتصر رسول الله ﷺ.

وقد ذُكر رمي النبي ﷺ الحصى على الكفار ودعاؤه في هذه الغزوة، كما قال النبي ﷺ من قبل إنه سيرمي الحصى. وقد جاء في بيان ذلك في مكان آخر كما يلي: (عندما كان القتال على أشده على إثر إعادة الصحابة الكرة) نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَعْتِهِ كَالْمُتَطَوِّلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا

<sup>١</sup> جمل أورك: أي لونه بين الأبيض والرمادي

<sup>٢</sup> أتَيْتَهُ : صرعته

حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ. قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصِيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ انْهَزْمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ. قَالَ (ابن عباس): فَدَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى. قَالَ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصِيَّاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا. (أي انتهى الأمر إلى هزيمة العدو)

وقد ذكر مزيد من التفاصيل لهذا الحادث كما يلي: قام رسول الله ﷺ في الركابين وهو على البغلة، ورفع يديه إلى الله تعالى يدعوه يقول: اللهم إني أنشدك ما وعدتني، اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا ونكون نحن المغلوبين.

عن يزيد بن عامر السوائي رضي الله عنه، وكان شهد حيننا مع المشركين ثم أسلم، قال: أخذ رسول الله ﷺ يوم حنين قبضة من الأرض، ثم أقبل على المشركين فرمى بها في وجوههم وقال: "ارجعوا، شأمت الوجوه". قال: فما من أحد يلقي أخاه إلا وهو يشكو القذى في عينيه ويمسح عينيه. وكان رضي الله عنه على بغلته "الدُّدُل". كان شيبه بن عثمان شخصا محترما من قريش وقتل أبوه عثمان بن طلحة في غزوة أحد. وقد اشترك شيبه في جيش حنين من مكة. ويرى بعض أنه كان قد أسلم عند فتح مكة، وقال بنفسه إنه اشترك بهذه النية، أي لم يكن قد أسلم، وعندما سنحت لي الفرصة أدرك ثأري من محمد ﷺ انتقامًا لمقتل أبي، والعياذ بالله، لأثلج به قلبي. هذا كان مستوى معاداته للإسلام بحيث كان يقول: لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمدًا ما تبعته أبدا.

فلما رأى شيبه أن المسلمين قد فروا من الميدان ولم يبق مع محمد ﷺ إلا قلة قليلة من الناس، قال: فكرت أن هذه فرصة سانحة لي لأقتله ﷺ، والعياذ بالله.

قال: فجئت لأهاجمه عن يمينه، فإذا العباس قائم، فقلت في نفسي من الصعب الهجوم على محمد ﷺ والعباس قائم. فرجعت، ثم جئته عن يساره لأهاجمه، فإذا بأبي سفيان بن الحارث، فرجعت من هناك أيضًا. ثم عزمت على الهجوم عليه من خلفه، فلما تقدمت بنية الهجوم، وضعت يدي على عيني وعدت أدراجي مسرعًا.

روى شيبه لاحقًا وقال: في تلك اللحظة بالذات رأيتُ السنة النار تتصاعد، وكأنها ستحرقني وتتركني رمادًا. وفي تلك الأثناء، نادى النبي ﷺ قائلاً: "يا شيبه، أدُّ مني". كان قد علم أنني كنت واقفًا خلفه. يقول: فدنوت منه ﷺ، فتبسم ومسح بيده المباركة على صدري ودعا قائلاً: "اللهم أذهب عنه الشيطان".

يقول شيبه: والله في تلك اللحظة نفسها أصبح ﷺ أحب إلي من سمعي وبصري ونفسي وانشرح صدري، ثم قال ﷺ له: "يا شيبه قاتل الكفار".

يقول: تقدمت الآن حاملاً سيفي نحو الأعداء دفاعاً عن محمد ﷺ، وصرت أقاتل بحب دفاعاً عن رسول الله ﷺ، حتى لو أن أبي وقف أمامي في تلك اللحظة لقتلته.

لقد روى حضرة المصلح الموعود ﷺ هذا الحادث بأسلوبه فقال: يُذكر في حادثة تتعلق برسول الله ﷺ أن رجلاً أظهر قبول الإسلام وشارك في غزوة حنين، لكن كانت نيته أنه سيغتنم الفرصة ليقتل رسول الله ﷺ عند تلاقي الجيوش. وعندما اشتدت المعركة، أخرج هذا الرجل سيفه. كان رسول الله ﷺ وحيداً في تلك اللحظة، ولم يكن معه سوى العباس ﷺ. فاعتبر الرجل أن هذه فرصة سانحة، وتقدم ليهاجم. لكن الله تعالى أخبر رسول الله ﷺ بوحي أن هذا الرجل يستبطن غدراً (أي عداوة). يروي الرجل نفسه قائلاً: تقدمت نحوه وكنت أظن أن سيفي سيقطع رقبتك، لكنني لما اقتربت منه، مد يده ووضعها على صدري وقال: اللهم نجّه من الأفكار الشيطانية وأخرج الحقد من قلبه. يقول الرجل: شعرت فجأة أنه لم يعد شيء أحب إلي منه. ثم قال رسول الله ﷺ: تقدم وقاتل. فأخذت سيفي، ووالله! لو كان أبي حيّاً في تلك اللحظة ووقف أمامي، لما ترددت في طعن صدره بسيفي. هذه هي المحبة التي أزالته عداوته، أي أن محبته للنبي ﷺ قضت على عداوته له.

بعد انتهاء المعركة، كان رسول الله ﷺ في خيمته، فحضر شيبه بن عثمان ﷺ لزيارة النبي ﷺ ولقائه. فقال له رسول الله ﷺ: يا شيبه! ما قدره الله لك الآن خير مما كنت تفكر فيه. ثم أخبره رسول الله ﷺ بكل الأمور التي كان شيبه يخفيها في قلبه في ساحة المعركة. فطلب شيبه ﷺ من رسول الله ﷺ المغفرة عما حدث في الماضي، فدعا له النبي ﷺ قائلاً: "غفر الله لك".

كذلك يُذكر سوء نية النضير بن الحارث ونهايته الحسنة. فقد كان من بين الذين خرجوا من مكة بنوايا سيئة ومقاصد خبيثة للانضمام إلى جيش حنين، ومنهم النضير بن الحارث. كان من زعماء قريش، وقد قُتل أخوه في غزوة بدر. يروي هو نفسه قائلاً: خرجت مع بعض أصحابي إلى حنين بنية أن أنتهز الفرصة للانضمام إلى المشركين المهاجمين. وعندما تفرق المسلمون في بداية المعركة، توجهت نحو رسول الله ﷺ لأقتله. لكن ما إن عزمت على الاقتراب منه ﷺ، حتى رأيت حوله أشخاصاً بوجوه بيضاء يقولون لي: "ابتعد من هنا!"، وكانت أصواتهم مهيبة جعلتني أرتعد خوفاً. فبدأت أرتجف، ولم تمض سوى لحظات حتى بدأ المسلمون يتجمعون مجدداً ويهاجمون الأعداء.

خلال تلك الفترة، عدت من هناك واختبأت بين الأشجار، فمكثت فيها أياماً وما يفارقي الرعب مما رأيت، حتى علمت أن رسول الله ﷺ مضى إلى الطائف، ثم انتقل من هناك إلى الجعرانة بعد انتهاء الحرب. ففكرت أن الإسلام قد غلب، وقد أسلم الجميع، فينبغي لي أن أذهب إلى رسول الله ﷺ. فذهبت متخفياً إلى الجعرانة وانضمت إلى المسلمين.

عندما رأني رسول الله ﷺ، عرفني وقال: "النضير؟" قلت: "لبيك يا رسول الله، فقال هذا خير لك مما أردت يوم حنين مما حال الله بينك وبينه". أي قد حال الله بينك وبين ما نويت. يقول: فأقبلت إليه سريعاً، فقلت: لو كان مع الله إله آخر لأغنى شيئاً حتماً. ثم قرأ الشهادتين وأسلم.

قال رسول الله ﷺ داعياً له: "اللهم زده ثباتاً". قال النضير: فوالله لكأن قلبي حجر ثباتاً في الدين. فقال النبي ﷺ: "الحمد لله الذي هداه".

بعد غزوة حنين، وأثناء تقسيم رسول الله ﷺ الغنائم، أعطى بعض زعماء قريش من المسلمين الجدد مائة بعير لكل واحد منهم تأليفاً لقلوبهم. وكان فيهم النضير بن الحارث الذي أبدى من ضبط نفسه ما كان في الحقيقة أثراً لدعاء رسول الله ﷺ له بالثبات على الإيمان، إذ جاءه رجل يخبره بأن رسول الله ﷺ قد أعلن أن له مائة بعير، وأن عليه أن يأخذها. فقال النضير: إنما يعطي رسول الله ﷺ ذلك تأليفاً للقلوب، فلن آخذها. إني بفضل الله ثابت على ديني، ولا حاجة لي إلى مثل هذا المال لتأليف قلبي.

ثم قال بعد ذلك: والله ما طلبتها ولا سألتها، وهي عطية من رسول الله ﷺ، فلا ينبغي أن يُرد. فأعطى الرجل الذي جاء بالخبر عشرة من الإبل هديةً، وأمسك الباقي لنفسه.

وكان بعد ذلك كثيراً ما يقول: الحمد لله الذي لم يُمتني على الشرك الذي مات عليه آبائي، وكان إسلامه حسناً، فهاجر إلى المدينة، ثم خرج منها إلى الشام للجهاد في سبيل الله، حتى استشهد في معركة اليرموك سنة خمس عشرة للهجرة. والبقية إن شاء الله تعالى مستقبلاً.

\*\*\*\*